

بسم الله الرحمن الرحيم

يا درة الأرض..

"ملحمة الملك عبد العزيز"

للشاعر / طارق عبد السلام خالد كرمان

يا درة الأرض.. "ملحمة الملك عبد العزيز"

قصيدة مهداة من الشاعر اليمني/ طارق عبد السلام كرمان، إلى المملكة العربية السعودية،

وإلى الأسرة المالكة الكريمة بمناسبة العيد الوطني للمملكة

مُؤْتِي قِراها وَمُؤْوِي مستضيئها
والجاعلِ الناسَ إن أموه أموها
وأشرف الناس ساقوهم وكاسوها
وكالسقاية للأحساب تنزيها؟!
إلا بأيدي كرام، مستحقيها
وأكرموا كل ثاؤ ناسك فيها
وأدركن أن ستعي قبل تحصيها

ولا أببت ذات ودق أن تحييها
مكّلف البوح عن قوم محبيها
وبي أنا لوعة ما اسطعت أحكيها
أمنأ وصلي تحيات نصليها
وإن حب ديار حب ألهيها
فحلقت بي ونأي الوجد يحدوها
بهذه القبل اللهفي فضميها

الحمد لله رب البيت، حاميهما
والمصطفىها بتقديس وتكرمة
خير البقاع.. حجيج الله تقصدها
وهل كخدمة بيت الله من شرف
كلآ.. ولا وضع الرحمن كعبته
حموا حماها وكانوا أهل رفعتها
آل السعود.. وحدت عن مكارمهم

حي الحبيبة أرض السعد.. لا شقيت
وقل لها إن هذا المستهام بها
فكيف أسطيع أحكي لوعة بهم
يا درة الأرض، يا دار السلام.. عمي
إننا عشقناك.. لا زلفى، ولا رغبأ
وقد جعلت إليك الشوق راحلتي
وجئت من بلدي أهفو _ أيا بلدي _

ملائكُ الله قبلَ الجُنْدِ تحميها
من البلاغةِ علماً كيفَ نوفيها
حبكَ النجومِ بأبياتٍ فنطريها
أن ليس في الأرضِ من أخرى تضاهيها
وصوتُ تسبيحهم لله يكفيها
وشرعة الله في أزهى معانيها
على رسول الهدى من روح موحىها
تهدي البرايا إلى توحيد باريها
لربه داعياً إياه يغنيها
بالخير والبركات الطرّ تسقيها
ماءً.. تفجرن خيراتٍ صحراريها
فيها الرواسي لكي ترسو مبانيتها
رغمَ الأجاج الذي يحويه يرويها؟!
ظننته الفلكَ تجري من موانيتها!
بضع وسبعين عاماً من تعاليتها
وحلّة من نسيج العزّ تكسوها
في مثل ذا اليوم عن ذكرى لبانيتها
في القول لم تكفني الفصحى معانيها
ما لم تطعه سراعاً حين يدعوها
منذ الطفولة والمضني لياليها
تنفكُ تدميه أو ينفكُ يدميها
والمشهرُ السيفَ إن خابت مساعيها
لأخضع الأرضَ قاصيها ودانيها

ماذا أحدث عن أرضٍ مباركةٍ
هي السعودية العظمية.. فليت لنا
وليت للشعرِ سلطاناً يتيح لنا
وإن "لبيك" في أرجائها شهدت
فحسبها منزلُ الحجاجِ منزلةً
فيها العروبة في أسمى مبادئها
فيها تنزلت الآيات مُحكمةً
فأشرقت في دجى الإشراك شرعته
وقبله جاءها إبراهيم مبتهلاً
ولا تزال إلى ذا اليوم دعوته
ومثلما أن بئر الزمزم انفجرت
فطال بنيانها حتى كأن نُحنت
ومن عجائبها ذا البحر كيف غدا
وفوقه "جسرُ فهد" لو ركبت به
وهاهي اليوم في ذكرى التوحيد مُذ
تزهو بسبع عقودٍ فوق غرّتها
فويحُ شعري وويحي إن غفلتُ به
عبد العزيز الذي لو شئتُ أنصفهُ
ذاك الفتى الجالبُ الأمجادَ مكرهةً
ذو الهمة المقلقِ الأيامَ مطلبها
والمبتلي للبلايا الموبقاتِ فلا
والبادئُ السعيَ بالأخلاق يبذلها
ولو تجردَ من حليمٍ ومن خلقٍ

متيماً هائماً في المجدِ مشدوها
ملكٌ على الأرض؛ أو لا يتعدنُ فيها
ليغصبنَ لها غصباً أمانيتها
إلى بلادٍ همُّ مَلَاكٍ ماضيها
عزائماً تَسَعُ الدنيا وما فيها
بكت، وإن ركبوا الأشواكَ دموها
كأنَّ موجاً من الطوفانِ يطويها
تجري الرياحُ وتعيى أن تجاريها
تجرؤُ فحيحاً ولا زحفاً أفاعيها
إما يبيتن جياعاً أو؛ يصيدوها
مجلجلين كإعصارٍ، مثيريها
قضى قروناً يديرُ الحربَ، يبلوها
وخلفها نصْفهم أبقاه يرنوها
له الرياضُ وردَّ الحقَّ واليها
فلا أطيع لذك النصرِ تشبيها

وسخرَ الرياحَ تجري حيث تبغيها
لجمعِ دارك من شتى تنائيتها
ورايةَ الحقِّ والتوحيدِ تعليتها
لكن لتمكينِ دينِ الله تبغيها
إلا ونصرٌ بأخرى بات يتلوها
جبالُ شمرٍ أضناك السرى فيها
ملكنت بالخلقِ المحمودِ أهليها

فتى.. مراهقةُ العشرين أرهقتها
أبت سجاياه إلا أن يكون له
وحركت فيه نفسَ الحرِّ مقسمةً
فثار فيه دمُ الأجدادِ يدفعه
بأربعين رجالاتاً.. غير أن لهم
همُّ أربعون؛ إذا مروا بفاجعةٍ
وقلةٌ تدحني شَمَّ الحصونِ لهم
لهم نفوسٌ إذا هبت لمكرمةٍ
سروا إلى القصدِ أسداً في الفلاة.. فلم
أما الوحوشُ فلم تبرحْ مخابئها!
سبعاً ليالي في البيداءِ ما لبثوا
مؤززين فتى العشرين وهو كأن
فجاء بلدته ليلاً بنصفهم
فما أضاء الضحى إلا وقد خضعت
فكان نصراً عزيزاً ظاهراً.. وكفى

عبد العزيز.. حباك الله نصرته
لما اعتصمت به في ما تؤمّله
سللت سيفك للتوحيدِ تحمّله
فلم تكن طالبَ الدنيا وزخرفها
ما كنت تفرغ من نصرٍ بمعركةٍ
فلا الحجازُ استحالته يداك ولا
وكلمما ملكتك الحربُ موقعةً

بالعفو.. ثم بفِرطِ الجُودِ ترضيها

من قاطعين طغوا واستكبروا فيها
وكاد يصبح بين الناسِ مكروها
فريضة الحج والأشواقِ تبليها
والتبلياتُ انتظاراً أن تُبليها
ولا أرقّت دماءً في أراضِها
بحمدهِ خاشعَ العينينِ باكيها
من كل خوفٍ وتحمي مستجيريها
من الذئابِ شياةً غاب راعيها

مراسها الصعبَ حتى لان قاسيها
قريرة.. فاستتقروا في مراعيها
للسمل جمعاً وللتوطنين توجيها
على أساسٍ من التقوى يقويها
أن لن يُضاموا بأرضٍ أنت قاضيها
إليك _ قبل أياديهم _ أياديها
ودولةٍ أنت بعد الله محييها
ملكٍ أشمّ وأرسي من رواسيها

أسطورةً بهرَ التاريخِ راويها
وفرعها في سماءِ المجدِ يعليها
ركب التقدمِ في صبرٍ وتقنوها

فكنتَ تشفي صدوراً من ضغائنها

طريق حجاج بيتِ الله ما فرغت
حتى غدا الحج ضرباً من مغامرةٍ
فناشدتك القلوبُ التائقاتِ إلى
وكان حقاً عليك الزحفُ يومئذٍ
فجئت مكة.. لا سيفاً رفعت بها
بل جنتها محرماً لله معتمراً
وكان عزمك فيها أن تحررها
ثم اطمأنت.. فلا خوفٌ وقد أمّنت

روّضت بالحكمةِ الصحراءَ مؤتلفاً
والبدو أسكنتهم فيها على هجرٍ
ورُحّت في وجهة التوطيد مبتغيّاً
وللبلاد بناءً غيرَ ذي خللٍ
وراح عدلك بين الناسِ يخبرهم:
فبايعوك.. وقد مدّت قلوبهمُ
حتى إذا اكتملت أركانُ مملكةٍ
أعلنت للناس من أرض الجزيرة عن

أخا الملاحم قد سطرت من عدمٍ
فأصلها ثابتٌ والدين مبدؤها
كم كُنت تجمّع أسباب الوصولِ إلى

قوافلِ المجدِ حتى اليومِ تهديها
صَلَاتُهُ في طريقِ الحقِّ تحدوها
حتى تحيدَ عن الشعري سواريتها

صيدِ المعالي ولم تخطئِ مراميها
عزاً.. فما بات في عزٍ معادوها
والمثكلون الليالي في دواهيها
تية السياسة إدراكاً وتتويها
وإن رأوا في أمورِ العُربِ بتوها
ولا تدورُ الرحي حتى يديروها
تخفُ على صَهواتِ كُنْتَ تعلوها
من محضِ نسلِكِ أن تُحنى نواصيها

وأشرفُ الناسِ ساقوهم وكاسوها
إن المكارم أحمرى أن تتموها
لديكمُ اليومِ أسباباً فمدوها
ولا نظننكمُ إلا مُحقيها
أطرافِ محرقيةٍ كلُّ يُذكيها
أن لو أرادوا لها حلاً لحلوها
قويةً وليُجنَّبَ رُشدَها التيهها
ولا بوجهِ عدوٍ في أراضيها

ثم ارتحلت.. فما انفكتُ أكَفك عن
وصوتك المؤمن الصداح ما برحت
فلن تحيدَ خطاها عن طريقتهها

مضت صقورُك يا صقرَ الجزيرةِ في
وذي بلادك قد زادت بحكمتهم
هم الدهاة إذا حلوا بمعضلةِ
والسائسون الرؤى، والقادرون على
لا يحسم الشرقُ أمراً دون رأيهمُ
فلا سلامَ إذا استلتُ سيوفهمُ
فانعمَ بنومك يا عبدَ العزيز، ولا
فما لخيالك ما دامت فوارسها

خير البقاع.. حجيجُ اللهِ تقصدها
فيا أولي الحرَمينِ الأشرفينِ ألا
فإن للعزةِ الأولى وعودتها
وإن آمالنا فيكم مبشيرةٌ
فاسعوا إلى لمّ شملِ القاعدين على
النافخين قضاياهم وقد علموا
ولِيحفظِ اللهَ للإسلامِ دولتكم
ولا ابتلاها ولا أنتم بنازلةِ

وباقةً من جنان القلب أهديتها
تفوح حباً و عرفاناً قوافيها
وثيقة صُهرت أنسابنا فيها
أمّ وإنما وإيّاكم لباروها
من الشتات فتؤويننا ونؤويها
وحسبنا من عهودٍ أن نوفيها
ملء السّموات والأرضين أسديها

يا درة الأرض.. هاك استقبلي درري
نظمتها بوفاء الحُرِّ مُعممةً
يا نسل أصحاب طه.. لا أذكركم
صرنا بها أخوةً في الله فهي لنا
هي العقيدة، أحرى أن نلوذ بها
كفى بها عروةً وثقى لتجمعنا
ثم الصلاة على العدنان سيّدنا

تمت.. بحمد الله